دروز سوريا والصراع الخفي مع عائلة الأسد

asostudies.com

ASO STUDIES

مركز آسو للاستشارات والدراسات الاستراتيجية

هي مؤسسة بحثية تغطي مجالاً إقليمياً واسع النطاق، تهتم بمتابعة التطورات على ساحة جيواستراتيجية واسعة تشمل بلاد الشام بصفة خاصة والشرق الأوسط بصفة عامة، مع الاهتمام بالشأن السوري والعراقي، وللمركز مقر في سوريا والعراق.

يعمل المركز على تقديم مساهمات فكرية ومعرفية جادة تعنى بالمنطقة وتؤثر في مستقبلها في مجال الاستشارات والدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية والأمنية واستطلاعات الرأي والتدريب الإداري.

انطلاقاً من مبدأ الجودة والتميز في خدمة المجتمع الذي شكل الدافع الرئيس للعملية التنموية، جاء إنشاء مركز آسو للاستشارات والدراسات الاستراتيجية ليكون مركزاً للتفكير وصنع السياسات العامة محلياً وإقليمياً وإعداد وتأهيل وتنمية كوادر وقيادات على درجة عالية من المهارة والعلم الحديث في المجالات المختلفة.

حقوق النشر محفوظة ٢٠٢٢

نورس عزيز
صحفي وصانع أفلام وثائقية

روجت بعض المنابر الإعلامية القريبة من النظام السوري دعاية، مفادها أن هذا النظام يحمي الأقليات الإثنية والدينية منذ اندلاع الاحتجاجات الشعبية في سوريا في آذار/ مارس 2011. من ضمنها ما جرى تسويقه بأن حكم آل الأسد قد أخذ على عاتقه حماية الطائفة الدرزية في سوريا كجزء من استراتيجيته لحماية الأقليات. فإلى أي درجة يمكن تصديق هذه الفرضية.؟

بادئ ذي بدء، مَن هُم الدروز.؟

يعتبر المكون الدرزي أحد المكونات الرئيسية في سوريا، وتعود أصول هذه الجماعة إلى القبائل العربية في اليمن، ومن أشهرها القبائل التنوخية والمعنيون والمناذرة وبنو هلال وكلب وفرازة. ويعرفون باسم العائلة المعروفية أو ببني معروف، لهم مذهبهم الخاص المسمى مذهب التوحيد وهو من المذاهب الإسلامية.

كان بعض الدروز في زمن الدولة العثمانية يقطنون ريف حلب، غير أن مركزهم الأساسي كان في جبل لبنان، واشتهر من بين أمرائهم هناك فخر الدين المعني الثاني.

كان أول قدوم لهم إلى جبل العرب في سوريا والذي يُعرف اليوم بمحافظة السويداء في مطلع القرن الثامن عشر، كان الجبل حينها منطقة شبه خالية واقتصرت الحياة فيه على بعض رعاة الأغنام من البدو والذين كانوا يستغلون فترة الربيع لإطعام مواشيهم قادمين من المناطق المجاورة، وعلى الرغم من تعاقب عدة حضارات على تلك البقعة الجغرافية، إلا أنّ الجبل ظلّ مهجوراً نتيجة شتائه القاسي ووعورة تضاريسه.
وصلت الهجرة نحو الجبل ذروتها بعد الحرب الأهلية في لبنان بين الدروز والموارنة والتي استمرت على فترات متقطعة اعتباراً من العام 1840 وحتى العام 1860 بعد المجازر التي حصلت بين الطرفين وراح ضحيتها عشرات الآلاف.

جبل العرب في بداياته

شهد الجبل أيضاً وصول عدد من الدروز من ريف حلب في الشمال السوري وقدم أيضاً للجبل عدد من المسيحيين والمسلمين السنة والذين تعايشوا متجاورين منذ مئات الأعوام مع الدروز في الجبل.

لم يكن جبل العرب هو الوحيد الذي يقطنه الدروز في سوريا إذ نجد لهم تجمعات في ريف دمشق في جرمانا وصحنايا وفي محافظة القنيطرة وتحديداً في عدد من القرى الجبلية في جبل الشيخ مثل بقعسم

وعرنة. بينما تسكن عدد من العائلات الدرزية ضمن العاصمة دمشق. ويُعتبر جبل السماق في محافظة إدلب أكبر تجمعاتهم في شمال سوريا حيث يقطنون عدد من القرى أبرزها كفتين وقلب لوزة.
بعد وصول الدروز إلى جبل العرب كانت السلطة بيد آل حمدان ودخل الدروز في مواجهات حينها مع العثمانيين وكذلك واجهوا حملة محمد علي المصرية عام 1838، واستفادوا من شدة بأسهم كمقاتلين ومن الطبيعة الوعرة للجبل وبالأخص منطقة اللجاة للانتصار في معاركهم على الرغم من قلة عددهم.

صورة قديمة لسكان جبل العرب

انتقلت السلطة في الجبل إلى آل الأطرش انطلاقاً من العام 1880 بعد سيطرتهم على 18 قرية ومدينة في الجبل، ليخوض بعدها الدروز عشرات المعارك ضد العثمانيين وضد بعض عشائر البدو، واشتركوا في الثورة العربية الكبرى عام 1916 ورفعوا العلم العربي في العاصمة دمشق وكان من أبرز ممثليهم سلطان باشا الأطرش الذي عاد وقاد الثورة السورية الكبرى ضد الفرنسيين عام 1925 ونفي بعدها مع رفاقه الثوار واستقروا في الصحراء بين الأردن والسعودية مدة 7 أعوام بعد صدور قرار بإعدامهم.
آثر سلطان الأطرش بعد صدور قرار العفو عنه وعن رفاقه العودة إلى أرضه الزراعية رافضاً بعد الاستقلال أي منصب سياسي في سوريا.

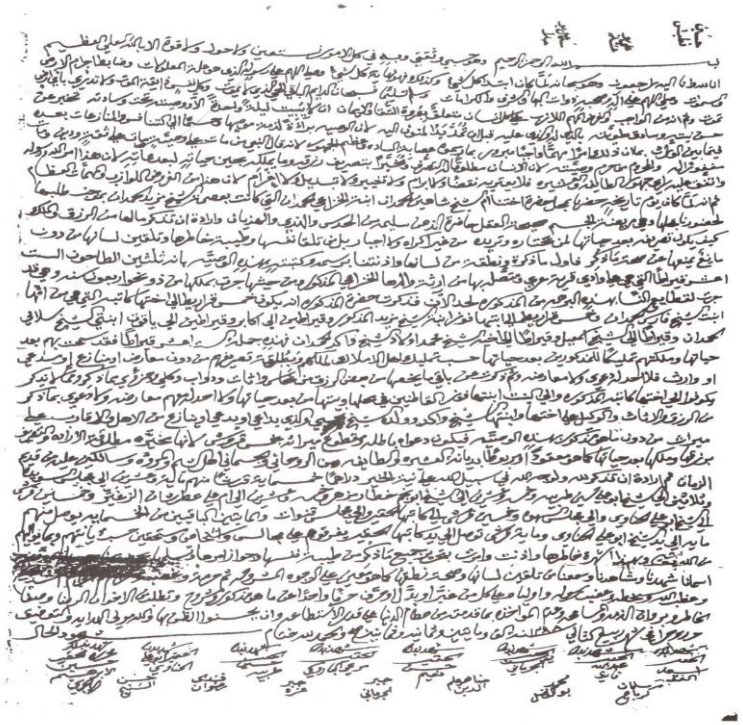

وثيقة لحكام الجبل آل حمدان

اقتصر حضور سلطان الأطرش في المناصب السياسية العليا على ابنه منصور الذي كان يرفض أن يعامل كابن سلطان الأطرش بحسب ما ذكر في كتابه (الجيل المدان)، وعلى الرغم من سجنه في عهد الرئيس أديب الشيشكلي فقد سعى جاهداً من خلال وجوده في صفوف حزب البعث إلى إثبات نفسه كطرف فاعل ليعيّن في العام 1964 ضمن المجلس الرئاسي الذي ضم خمسة أشخاص هم صلاح البيطار ومحمد عمران ونور الدين الأتاسي ومنصور الأطرش وأمين الحافظ رئيساً للمجلس والجمهورية.

سلطان الأطرش ورفاقه الثوار

تمكن الدروز من إثبات ذواتهم ضمن مفاصل الدولة السورية واستطاع العديد من رجالاتهم الوصول إلى مراكز حساسة وشهدت حينها السويداء عدداً كبيراً من اليساريين والسياسيين المحنكين فضلاً عن ضباط أكفاء في الجيش.

علاقة الدروز مع النظام السوري الجديد بعد وصول حافظ الأسد للسلطة؟

لمعرفة حقيقة العلاقة بين النظام والمكون الدرزي السوري نحتاج إلى العودة إلى بدايات انقلاب حافظ الأسد وصلاح جديد باشتراك النقيب سليم حاطوم على الرئيس أمين الحافظ في 23 شباط عام 1966.

في العام 1965 وقبل عام من حدوث انقلاب (أسد – جديد – حاطوم) ظهر بشكل واضح جناحان ضمن صفوف قيادات البعث، الجناح الأول (القيادة القومية) ضمت أمين الحافظ رئيس الجمهورية ومحمد عمران وزير الدفاع إضافة لمؤسسي الحزب ميشيل عفلق وصلاح البيطار ومنيف الرزاز وسياسيون أبرزهم من السويداء حمود الشوفي وشبلي العيسمي ومنصور الأطرش وآخرون، وبالمقابل كان هناك جناح خطير (القيادة القطرية) يخطط للانقلاب على القيادة القومية وهم في غالبيتهم من الطامحين لتسلم السلطة وعلى رأسهم حافظ الأسد وصلاح جديد وعبد الكريم الجندي وسليم حاطوم ومصطفى طلاس.

في 23 شباط 1966 أسقطت قوات الانقلاب فريق (القيادة القومية) وسيطر الجناح العسكري على مفاصل الحكم بعد هروب عدد كبير من الجناح الأول واعتقال آخرين.

سليم حاطوم

منصور الأطرش

كان من ضمن المعتقلين نائب رئيس الجمهورية شبلي العيسمي من أبناء السويداء إضافة لمنصور الأطرش الذي كان سابقاً عضواً في المجلس الرئاسي.

بعد الانقلاب حُلَّت الحكومة وعيّن حافظ الأسد وزيراً للدفاع مكان اللواء حمد عبيد (الوزير الدرزي) وأقصيت أغلب الشخصيات الدرزية من المناصب الحساسة, وبلغ الغضب عند الضباط الدروز المؤيدين للانقلاب ذروته لدى تهميش سليم حاطوم وإبعاده عن المناصب العسكرية.

خطط سليم حاطوم لاحقاً بالتعاون مع اللواء فهد الشاعر النائب العام لأركان الجيش قبل الانقلاب الذي كان ينسق مع منيف الرزاز لتشكيل تنظيم مدني بجناح عسكري للالتفاف على قادة الانقلاب، انكشف مخطط حاطوم قبل تنفيذه في أيلول عام 1966 نتيجة خطأ وقع فيه بعض الضباط في منزل الضابط طلال أبو عسلي أثناء تناولهم للمشروبات الروحية وقاموا بالتلاسن مع الضباط المحسوبين على الانقلاب مما أدى لاحقاً للقبض على المئات من الضباط المشتركين في مخطط حاطوم، ومن بينهم اللواء فهد الشاعر

الذي تم سجنه وصدرت بحقه عقوبة الإعدام ولكن وساطة الرئيس جمال عبد الناصر ساعدت في إطلاق سراحه لاحقاً بعد تعرضه لأبشع أنواع التعذيب.

توجه سليم حاطوم إلى السويداء بالتزامن مع إبعاد أكبر كتلة ضباط وسياسيين دروز عن المناصب السياسية والعسكرية من مفاصل الدولة، وهذا سبب احتجاجاً كبيراً داخل السويداء فهدد أهالي الجبل بمقاطعة الانتخابات والعصيان المدني.

توجه بعد هذا التهديد إلى السويداء كل من الرئيس السوري حينها نور الدين الأتاسي وصلاح جديد وجميل شيا الدرزي الوحيد الذي بقي في القيادة القطرية بغرض شرح أزمة الحزب للقيادات في السويداء وهذا ما استغله حاطوم ليقوم باحتجازهم كرهائن ومفاوضة وزير الدفاع حينها حافظ الأسد ورئيس الوزراء يوسف زعين وطالب بإطلاق سراح الضباط الدروز وبقية الضباط من مؤيديه وإعادتهم إلى مناصبهم السابقة، وإبعاد الكثير من مؤيدي صلاح جديد عن السلطة، وحل القيادة القطرية وتعيين قيادة جديدة تضم 5 أعضاء من القياديين الدروز.

رفض حافظ الأسد وقيادة الجيش الطلبات وأرسلت كتيبة الصواريخ إلى السويداء وحلق الطيران فوق المدينة وهدد الأسد باقتحامها وهدمها، اضطر حاطوم للهرب إلى الأردن حتى لا يتم تدمير المحافظة وتم الحكم عليه غيابيا بالإعدام.

عام 1967

صدر لاحقاً عفو عام عن الضباط على إثر المعارك مع إسرائيل فعاد حاطوم إلى سوريا ليتم اعتقاله وإرساله إلى محكمة ميدانية برئاسة مصطفى طلاس ليصفى بشكل عاجل في حقل الرماية التابع لسجن المزة العسكري.

تحددت شكل العلاقة بين نظام الأسد والدروز منذ العام 1966 وحاول تشويه صورة الدروز وتقزيمهم أمام بقية المكونات السورية، فعلى سبيل المثال قام حافظ الأسد وصلاح جديد على إثر الخسارة في المعارك مع إسرائيل عام 67 بنشر إشاعة مفادها أن الدروز هم من قاموا بتقديم الإحداثيات للجيش الإسرائيلي مما أدى لخسارة الجيش السوري للمعارك. خلّف هذا ردة فعل سلبية لدى الشعب السوري وصلت ذروتها بترحيل عائلات درزية تقطن في دمشق إلى السويداء بعد تصفية رجل من السويداء ذهب للاطمئنان عن ابنه في إحدى القطع العسكرية، فحين علم حارس القطعة العسكرية بأن الرجل درزي، أطلق عليه النار وقتله.

عمل حافظ الأسد على تهميش رجالات السويداء ومفكريها فنفى الكثير منهم وأصدر أحكاماً غيابية بالإعدام بحق عدد منهم وعلى رأسهم شبلي العيسمي، ونفى منصور الأطرش ابن القائد العام للثورة السورية الكبرى.

وأمر بعدم تسليم الدروز أي حقيبة وزارية مؤثرة، فاقتصر تمثيل الدروز في الحكومات المتعاقبة في عهدي الأسد الأب والابن على وزارة شؤون القصر وهي حقيبة ثانوية ليس لها أي فعالية أو تأثير، إضافة لتسليمهم حقيبة الإدارة المحلية في مرات قليلة.

أحد البيارق التي تشكلت في السويداء بعد ثورة 2011

بالعودة إلى فرضية البداية: هل قامت عائلة الأسد بحماية دروز سوريا ضمن ما تم تسويقه على أنه حماية الأقليات منذ عام 2011!؟

بعد الاحتجاجات الشعبية لسنة 2011

مع اندلاع ثورة عام 2011 ضد حكم عائلة الأسد عمل بقايا اليسار في السويداء على تنظيم مظاهرات واعتصامات والخروج نصرة لبقية الشعب السوري، وشهدت السويداء أول اعتصام نقابي في سوريا عام 2011 بعد أيام من اندلاع الثورة حيث تمثل هذا الاعتصام بنقابة المحامين.

ضغط نظام الأسد على مفاتيح الطائفة، فكان كما والده قد استمال السلطة الروحية في السويداء المتمثلة بمشيخة العقل وجعلها ربيبة للسلطة وأطلق سراح مئات المساجين الدروز المنتمين للقاع المجتمعي ومنحهم بطاقات أمنية وسلحهم ومولهم وجعلهم أداة له في قمع جميع أنواع الحركات في السويداء، وقام بتعويم اللواء عصام زهر الدين الذي كان مهمشاً قبل الأحداث على الرغم من صفاته القيادية، فخلق منه قائداً عسكرياً وأرسله لمناطق السنة وحوله إلى قاتل (درزي) يقتل (أهل السنة).

في العام 2014 برزت حركة رجال الكرامة في السويداء فاتخذت موقف الحياد الإيجابي وأخذت شعبية واسعة والتحق بها مئات الشبان وزاد من شعبيتها قرارها بمنع سحب شباب السويداء المطلوبين إلى الجيش رفضاً لقتل سوريين آخرين، تبنت الحركة خطاب وطني جامع وظهر واضحاً من خلال خطابات قائدها ومؤسسها الشيخ أبو فهد وحيد البلعوس الذي أكد على أن أهل السويداء (سوريون عروبيون) وهو الإنتقال إلى الحالة الوطنية البعيدة عن التكتل الطائفي.
نجحت الحركة في منع الأجهزة الأمنية من اعتقال المعارضين السياسيين داخل السويداء ودعت عدة مرات لعقد مؤتمر انقاذ وطني لسورية في صرح سلطان باشا الأطرش القائد العام للثورة السورية الكبرى 1925.
ضمت الحركة أكثر من 35 بيرقاً مقاتلاً، والبيرق هو تنظيم حربي خاص بالدروز يتمثل بوجود راية خاصة لكل عائلة أو قرية ينطوي تحتها مقاتلو هذه العائلات أو القرى بسلاحهم الخفيف أو بسلاح الصيد.

قائد حركة رجال الكرامة ورفاقه

وقع نظام الأسد في مفارقة حقيقية تجاه السويداء والمكون الدرزي، كونه يدعي أمام المجتمع الدولي حمايته للأقليات، في الوقت الذي تعارضه هذه الأقليات. منها الطائفة الدرزية، حيث أصبحت السويداء بعد عام 2014 شبه خارجة عن سيطرته. وأصبحت الفصائل المحلية تتمتع بقوة كبيرة، فكان لزاماً عليه إيجاد حل دون التدخل العسكري المباشر الذي سيسقط عنه ادعائه بحماية الأقليات، فقام بعدة خطوات لتهميش الحراك والموقف السياسي الرافض في السويداء ومنها:
عمل على دعم فوضى انتشار السلاح. وحول السويداء إلى أرض خصبة لانتشار المخدرات وتهريبها باتجاه الأردن، وذلك من خلال إدارة حزب الله لملف المخدرات في الجنوب. ثم قام بعدها بدعم عصابات الخطف والسرقة ومنحها بطاقات أمنية ورفض محاسبتها أو إيقافها. وعمل من خلال تلك العصابات على تمزيق مجتمع السويداء. فمن المعروف أن مجتمع الدروز عائلي شبه عشائري يقوم على العادات والتقاليد والأواصر العائلية.

كما أن نظام الأسد قد عمل على إحداث تفجيرات هائلة في شهر أيلول عام 2015، واغتال على إثرها، قائد حركة رجال الكرامة الشيخ أبو فهد وحيد البلعوس ومجموعة من رفاقه ومدنيين آخرين، وألصق التهمة بأحد أبناء السويداء المعارضين ليتم قفل ملف مقتل أكثر من 58 مدنياً.

آثار تفجير قائد حركة رجال الكرامة

على أثر هذا الاغتيال نجح النظام اعتباراً من العام 2016 بتمزيق مكونات حركة رجال الكرامة مستفيداً من الخلل والانشقاقات التي خلفها مقتل قائد الحركة وبعض القيادات، فدعم عدد من الفصائل المنشقة بمباركة من جهاز الأمن العسكري بقيادة العميد وفيق ناصر آنذاك والذي تتهمه معظم أهالي السويداء بالوقوف خلف عملية تفجير شيخ الكرامة أيلول 2015.

شهدت فصائل السويداء المحلية اعتباراً من العام 2016 تشظي كبير فأصبحت الانشقاقات كبيرة عن حركة رجال الكرامة كان أبرزها انشقاق:

- قوات شيخ الكرامة ومركزها الرئيسي في مدينة صلخد والتي تم اغتيال قائدها وسام العيد لاحقاً وملاحقة عناصرها من قبل بعض الجماعات المدعومة من الأمن العسكري، ومن أبرز قيادات تلك الجماعات مهران عبيد.
- قوات الفهد ومركزها قنوات وحاول الروس استمالتها وتطويعها ضمن الفيلق الخامس.
- لاحقاً تم تأسيس ما يُعرف بالشريان الواحد وهو تجمع لعدد من الفصائل الصغيرة في عدة قرى.
- وهناك العديد من الفصائل الصغيرة مجهولة التمويل أو ولائها يتبع لجهات أمنية مثل قوات الغيارى وغيرهم وكذلك بعض الميليشيات العائلية المنطوية تحت جناح الأمن العسكري.
- في العام 2021 تم تشكيل مجموعة جديدة أطلقت على نفسها اسم قوات مكافحة الإرهاب وهي الجناح العسكري لما تم تسميته بحزب اللواء السوري الذي أعلن عن نفسه بالتزامن مع إطلاق القوات وتم محاربته من العديد من أهالي المحافظة ومثقفيها على خلفية اتهام مؤسسها الناشط الصحفي مالك أبو الخير بالحصول على التمويل من أميركا وجهات أخرى، حيث اتسمت أهداف الحزب وقوات مكافحة الإرهاب بشعارات رنانة منها محاربة ايران وداعش ورفضها للنظام ولكنها لم تقم بأي عمل حقيقي يدعم شعاراتها باستثناء افتعال عدة مشكلات مع قوات ما يعرف بالدفاع الوطني بقيادة رشيد سلوم والتي كانت تنتهي عادة بالتدخل من وجهاء المحافظة وحل الخلاف، وبعد انضمام أكثر من ألف شاب من السويداء لتلك القوات التي كانت تدفع رواتب بين 80 دولار و 150 دولار للعنصر الواحد أو قائد الفصيل فقد تم بعد اقل من سنة انشقاق معظم من قام بالانضمام إلى هذه القوات وتراجعت شعبيتها بشكل كبير وبخاصة بعد مقتل اثنين من البدو تحت التعذيب على يد قوات مكافحة الإرهاب.

لعب النظام منذ العام 2014 بطريقة تعامل سلسلة مع الأحداث في المحافظة، فحرص على تشظي المجتمع وإدخاله في حالة صراع خفي بين فصائله المختلفة، قدم تقارير في العام 2017 للقوات الروسية بأن حركة رجال الكرامة وسلاحها هي حركة إرهابية وقَدِم الروس لأول مرة حينها للمحافظة واجتمعوا مع مشيخة العقل وقيادات النظام في السويداء وبعض الوجهاء وخلصوا بأن التقارير المقدمة غير صحيحة وقاموا بزيارة للشيخ يحيى الحجار بعد استلامه لقيادة الحركة على اثر تنازل الشيخ أبو يوسف البلعوس شقيق الشيخ وحيد عن قيادة الحركة.

حاول النظام من خلال الروس وجهات أمنية أُخرى استمالة قيادات حركة رجال الكرامة ونجحوا انطلاقاً من العام 2019 بتحييد الحركة ودورها الفاعل واختصار عملها بإطلاق سراح بعض المعتقلين السياسيين من أبناء السويداء.

العلاقة بين محافظتي درعا والسويداء

حاول نظام الأسد إثارة النزاعات القديمة بين الجارتين درعا والسويداء وعمل على اشعال حرب أهلية بين الطرفين في الكثير من المناسبات مستفيداً من حساسية قديمة بين المحافظتين قائمة على أساس اختلاف المذهب وبعض الصراعات التي تعود إلى القرن التاسع عشر والقرن العشرين، والتي مختصرها يدور حول اتهامات بالسيطرة على بعض القرى من الطرفين وعمليات سلب ونهب قديمة يتهم كل طرف فيها الآخر وعلى الرغم من أن الجارتين نجحتا في تخطي الكثير من الحساسيات وخلال أكثر من 100 عام ساد حسن الجوار الموقف بينهما ولكن نظام الأسد حاول اشعال هذه الفتن التي تم اخمادها ووأدها من قبل

العقلاء في المحافظتين، وكان آخرها المشكلة التي وقعت بين قوات اللواء الثامن ضمن الفيلق الخامس الروسي بقيادة أحمد العودة وبين أهالي قرية القريّا غرب السويداء بعد أن تقدمت قوات العودة حوالي 5 كم داخل أراضي البلدة وسببت ازعاج كبير للمزارعين، وكانت حجتهم في قطع الطريق على عصابات الخطف وافشال التمدد الإيراني بين السويداء ودرعا وتحديداً منطقة بصرى الشام، وحدثت معركة بين الطرفين في العام 2020 وتدخلت حركة رجال الكرامة وفقدت في هذه المعركة نخبة من مقاتليها وبينما فقدت قوات العودة مقاتلاً واحداً، وبعدها ليتم الاتفاق بين وجهاء المحافظتين على تراجع العودة وعودة روابط الجيرة إلى عهدها السابق.

العلاقة بين الدروز والبدو

عمل نظام الأسد على تمزيق مكونات مجتمع السويداء من خلال ثنائية (الدروز – البدو) وعمل على اشعال فتنة محلية بينهما عدة مرات دون أن يحقق شيئا مما سعى إليه، استند النظام على العلاقة المتوترة بين البدو والدروز والتي ترجع جذورها إلى أكثر من 300 عام، حيث تتهم بعض عشائر البدو الدروز بأنهم احتلوا أرضهم! في حين يؤكد الدروز بأن الجبل كان مهجوراً واقتصرت الحركة فيه في فصل الربيع على بعض البدو الرُحل الذين يأتون للجبل للرعي بأغنامهم وما زالوا حتى اليوم يرعون في فصل الربيع ضمن أراضي الجبل مع وقوع عدة خلافات على مدار سنوات طويلة كان أبرزها في العام 2000 حين اشتعلت انتفاضة عشوائية في السويداء ضد بعض عشائر البدو على خلفية مقتل أحد شباب بلدة الرحى على يد ابنة أحد شيوخ البدو في البلدة والذي كان سببه الأساسي تصادم الشاب سابقاً مع عدد من الرعاة والذين قاموا لاحقاً بحسب الرواية المتداولة بوضع جثة حمار نافق في قبر جد الشاب، وعلى أثر هذه الحادثة توجه الشاب إلى منزل الشيخ سعود السعيد وهناك تم قتله، فاندلعت اشتباكات واسعة في كل ارجاء المحافظة بين الدروز والبدو سقط على أثرها قتلى وجرحى، فقامت قوات النظام بإطلاق النار على أقارب للجرحى امام المشفى الوطني فقُتل عدد منهم، وقامت الأهالي حينها بالسيطرة على مبنى المحافظة والتهديد بالعصيان بعد اتهامهم للنظام بتسليح بعض العناصر من البدو وتجنيدهم كمخابرات لصالحه حيث وجدوا في أحد جوامع قرية الشقراوية عشرات الأسلحة الخفيفة والمتوسطة، قام النظام بعدها بالتهدئة رغم تهديده المباشر وغير المباشر للمحافظة بالاقتحام والقصف بالطائرات.
استفاد النظام من هذه الحساسية وحاول في عدة مناسبات تنفيذ جرائم وتوريط البدو فيها وكان أبرزها القصف بالهاون على مدينة السويداء في العام 2015 واتهام البدو بالوقوف خلفها، ليتبين بعدها بأن من قام بإطلاق قذائف الهاون هم ثكنة عسكرية في منطقة الضمنة في ريف المدينة.

قام نظام الأسد بزرع تنظيم "داعش" في شرق السويداء، بعد أن نقل أكثر من ألف مقاتل من التنظيم مع أسلحتهم إلى بادية السويداء وتلال الصفا. وسحب السلاح من أيدي أنصاره في المنطقة الشرقية من السويداء، وفي تاريخ 25 تموز 2018 دخل التنظيم إلى القرى الشرقية من الجبل وقتل أكثر من 263 شخص بطريقة بشعة، ورفض حينها نظام الأسد ارسال جيشه إلى هناك واقتصرت مشاركته على اشراك طائرة حربية لم يكن لها أي تأثير على الأرض، فاضطرت أهالي السويداء للفزعة، فانتصرت على داعش خلال 6 ساعات.

استغل نظام الأسد حادثة اختطاف نساء وأطفال على أيدي داعش فسوق بمحاولته استردادهم وهو ما حصل في ظروف غامضة بعد أشهر من حادثة الاختطاف، لم يفوت الأسد مناسبة لقائه بالمختطفين وذويهم في قصره بدمشق في نهاية العام 2018 لتمرير رسائل محلية لأهالي السويداء بأن ملف المطلوبين للجيش هو السبب، ورسائل دولية مفادها بأنه عمل على حماية الدروز واستعاد المخطوفين بعد أن أخذت القضية بعداً دولياً عمل على تدويله حينها مجموعة من الدروز باختلاف دولهم.

يضاف إلى ما تقدم، تسهيل نظام الأسد عملية تجنيد المرتزقة لصالح الروس وصالح شعبة المخابرات العامة، باستمالة شباب السويداء مقابل مبالغ مالية شهرية، فشوه مبدأً جوهرياً في السويداء مفاده: (نحرّم التعدي منّا والتعدي علينا).

خلاصة

يمكننا اختصار ما سبق عرضه في هذا التقرير، بأن النظام السوري قد نجح إلى حدٍ ما في تشويه الكثير من الأواصر والعادات الراسخة في المجتمع الدرزي في سوريا، هذه الطائفة التي لا يتجاوز عددها في سورية الـ نصف مليون شخص. وتمكن هذا النظام في عدم الزج بنفسه ـ حتى الآن ـ في قتال عسكري مفتوح ضد الدروز على غرار بقية المدن السورية. غير أنه فشل في المحصلة في إخراج هذه الجماعة من أرضها ولم يقوَ على فك ارتباط الدروز بمعتقداتهم، الأمر الذي ساهم في وأد فتن النظام، التي أشعلها بين السويداء ودرعا، وكذلك بين الدروز والبدو. ولم يجد في الدروز سنداً لحكمه، وتأتي المظاهرات التي اجتاحت مدينة السويداء منذ نهاية كانون الثاني 2022، لتفند المزاعم التي روّج لها النظام السوري. وتؤكد على وضوح موقف المكون الدرزي من الحرية والكرامة.

مراجع:

١- كتاب: الدروز – ماكس أوبنهايم
٢- كتاب – انتفاضة جبل الدروز- حوران من العهد العثماني إلى دولة الاستقلال – برجيت شيبلر
٣- كتاب: بنو معروف – عبد الله النجار الصادر عام ١٩٢٤
٤- كتاب: الجيل المدان – مذكرات منصور سلطان الأطرش
٥- كتاب: الصراع على السلطة – نيكولاس فاندام
٦- كتاب – التجربة المرّة – منيف الرزاز
٧- مذكرات أكرم حوراني
٨- بحث فيلم رجال الكرامة – الباحث ربيع الشريطي (همام الخطيب) بإشراف مركز دراسات الجمهورية الديمقراطية.
٩- دراسة تحليلية: السويداء وعودة الحراك الثوري، المسارات والاحتمالات – الدكتور سمير العبد الله – الصحفي نورس عزيز

دروز سوريا والصراع الخفي مع عائلة الأسد

A
S
O
STUDIES

asostudies.com